بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 10 يوليو 2017

التعليم الديني
من الحلقات المسجدية إلى المأسسة

عبد السلام الجعماطي
باحث مغربي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017
All rights reserved © 2017

التعليم الديني من الحلقات المسجدية إلى المأسسة[1]

[1] نشر هذا البحث في كتاب «تجديد التعليم الديني: سؤال الرؤية والمنهاج»، إشراف وتنسيق محمد جبرون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، شتنبر 2016

ملخص:

نستعرض، في هذه الدراسة، تطور التعليم الديني الإسلامي، منذ حلقاته الأولى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، إلى أن أضحى مؤسسة تعليمية قائمة الذات، ومكتملة الشروط، وواضحة المعالم والصفات، والتي تجعلها ظاهرة بارزة، وبنية طويلة الأمد في تاريخ التعليم الإسلامي منذ النشأة وإلى زماننا هذا، مع الوقوف على أبرز الأسباب والظروف التي كانت مسؤولة عن انتكاسة التعليم الديني الإسلامي، وكذا أهم المحاولات الرامية إلى إصلاحه، أو عصرنته.

توطئة:

إن تاريخ العلوم والحضارة العربية الإسلامية هو، في واقع الأمر، تاريخ تعليمه الديني في مختلف مراحله، بالنظر إلى ارتباط العلم والمعرفة الدنيوية بالشريعة والعلوم الدينية وفق مبدأ الاستخلاف، حيث نشأت حضارة المسلمين بنشأته، وازدهرت بازدهاره، وشهدت ضمورها بانحطاط التعليم عامة في دار الإسلام وانحساره، ثم في فقدان دوره، أخيراً، في تكوين الطبقة العالمة والمتفقهة، وفي إنتاج النخب الفكرية والسياسية التي قادت المسلمين خلال عهود عزتهم السياسية، ونهضتهم الحضارية.

فما الإرهاصات الأولى لظهور التعليم الديني، ونشأته، وتطوره في دار الإسلام؟ وهل أدّت الحلقات المسجدية، والجامعات الإسلامية، والمدارس العتيقة الدور المنوط بها في تخريج طلبة العلم، وفقهاء الدين، وعلماء الأمة؟ وكيف حقق التعليم الديني غايات تأسيسه وترسيخه في صناعة قادة الأمة وزعمائها، وتكوين النخبة الفكرية والدينية في دار الإسلام؟ ثم ما العوامل الكامنة وراء أفوله وتراجع دوره الحضاري؟ وهل أسهمت المحاولات الإصلاحية المبذولة لإعادة هيكلته وتطويره في إعادة ضخ الروح إلى هذا الكيان المتداعي؟

نستعرض، في هذه الدراسة، تطور التعليم الديني الإسلامي، منذ حلقاته الأولى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، إلى أن أضحى مؤسسة تعليمية قائمة الذات، ومكتملة الشروط، وواضحة المعالم والصفات، والتي تجعلها ظاهرة بارزة، وبنية طويلة الأمد في تاريخ التعليم الإسلامي منذ النشأة وإلى زماننا هذا، مع الوقوف على أبرز الأسباب والظروف التي كانت مسؤولة عن انتكاسة التعليم الديني الإسلامي، وكذا أهم المحاولات الرامية إلى إصلاحه، أو عصرنته.

عوامل ظهور التعليم الديني في دار الإسلام:

جاء دين الإسلام الحنيف بمبادئ كونية سامية، في طليعتها الدعوة إلى طلب العلم بلا قيود تحدّ من آفاقه، ولا حدود تضيّق من سعة شموليته لميادين المعرفة الإنسانية عامة، بما في ذلك علاقة الإنسان بخالقه، وبمجيئه إلى الدنيا، ورحيله عنها، وفق مشيئة الله سبحانه وتعالى، أو علاقة الإنسان ببيئته ومحيطه الذي يحيا داخله، وبالقرب منه، أو بعيداً عنه في آفاق السموات والأرض. ومن ثمة يمكن تدبر آيات القرآن الكريم التي جاءت في الحض على التأمل في خلق الإنسان والكون، أو في النظر في طبيعة الأشياء، وفي صدارتها الماء الذي جعل منه الخالق، عز وجل، كل شيء حي، ثم في حض الإنسان على السير في الأرض، وتدبر تكوينها وتحولاتها من قبيل آيات الجبال والرياح والمزن، والنظر في أسباب معاش الخلائق فوق بسيطتها، وتسخيره سبحانه لهذه الأسباب مثل آيات الإبل، والأنعام، والزراعة، والتجارة، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس.

ومن الطبيعي أن يترتب على دعوة الإسلام إلى طلب العلم والمعرفة بجميع السبل، وفي شتى الميادين، عمل المسلمين منذ فجر الدعوة الإسلامية، وعصر النبوة المحمدية، على تحصيل موارد العلم الأولى متجلية في حلقات كان نبي الهدى صلى الله عليه وسلم وصحابته يعقدونها لتفقيه المسلمين في أمور دينهم، وصلتهم مع الله جل جلاله، وفي معاشهم وأحوالهم مع أنفسهم، ومع ذويهم[1].

لقد جاء في القرآن الكريم أمر صريح إلى المسلمين، يدعوهم إلى تفرد طائفة منهم، واختصاصها بالتفقه في الدين، وتعليمه للمسلمين كافة[2]. وورد في الحديث النبوي الشريف ما يحض المسلمين على اتخاذ المساجد موضعاً لتعلم القرآن، وتعليمه[3]. كما جاء فيه استحباب الاجتماع في بيوت الله لتلاوة القرآن وتدارسه[4]. وكان الصحابة يتفاضلون فيما بينهم -بعد فضل التقوى- في علمهم وأسبقيتهم إلى الإسلام[5]. ولقد روي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ بأذن ابن عباس، وهو ابن سبع سنين، أو ما قاربها، فقال: «**اللهم فقهه في الدين، وعلّمه التأويل**»[6].

والمتأمل في طرق رواية الحديث النبوي الشريف، يجد طائفة من الأحاديث المروية على لسان الصحابة والتابعين؛ موطنها، وموضع روايتها كانت هي المساجد الأولى في الإسلام، خلال حلقات الدرس، والوعظ بها.

كما أنّ حُكْم فكّ الأسرى في الإسلام، خلال عصر الفتوحات الإسلامية الأولى، لم يكن يستند على أساس مادي، وإنما على اشتراط تعليم الأسير لعامة المسلمين الكتابة والقراءة، مقابل إطلاق سراحه، هذا إن لم يعتنق الإسلام، ويندمج في أمته.

1- وردت أحاديث نبوية شريفة في هذا الباب، منها ما خرجه البخاري من حديث حجاج بن منهال، حدثنا شعبة قال: أخبرني علقمة بن مرثد: سمعت سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». صحيح البخاري: رقم 4739؛ وفي سنن أبي داود حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن عثمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». سنن أبي داود: رقم 1452. وفي صحيح مسلم: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة»؛ وروى أبو أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»؛ وفي سنن ابن ماجه: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبل أن يرفع»، ثم جمع بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال: «العالم والمتعلم شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس». سنن ابن ماجه: 228/1، وذكر عياض في «الغنية»: فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م، ص 99

2- مصداق ذلك قول الله عز من قائل:

3- في صحيح مسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل» صحيح مسلم، باب: فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، الحديث رقم: 803

4- في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»؛ صحيح مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، الحديث رقم: 2699؛ وفي رواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل، إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»؛ صحيح مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، الحديث رقم: 2700

5- أبو مروان عبد الملك بن حبيب القرطبي، طبقات الفقهاء، من لدن الصحابة ومن بعدهم من العلماء، تحقيق رضوان بن صالح الحصري، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث والسيرة العطرة، رقم 3، دار أبي رقراق، الرباط، 1433هـ/2012م، ص57؛ ومما جاء في هذا التفضيل قول عبد الملك بن حبيب: «سمعت أهل العلم والفقه والمعرفة بطبقات الفقهاء يقولون: كان الفقه في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في سبعة نفر، كانوا أفقه الصحابة».

6- المصدر نفسه، ص63، والحديث رواه ابن حبان رقم 7055

مفهوم التعليم الديني وظهور حلقاته المسجدية الأولى:

- في مفهوم التعليم الديني:

لا يوجد اتفاق حول تعريف التعليم الديني في العالم الإسلامي، ولا تحديد دقيق للإطار الزمني الذي ظهر إبانه هذا المفهوم. وعموماً يمكننا استعراض بعض التعاريف التي وضعها الباحثون المحدثون؛ فقد عرّف خالد الصمدي وعبد الرحمن حللي هذا المفهوم؛ انطلاقاً من مبدأ الفصل بين تدريس العلوم الشرعية من جهة، والعلوم العقلية من ناحية أخرى، وهذا الفصل كان في واقع الأمر من المظاهر التي أحدثها التغلغل الاستعماري في الأقطار الإسلامية، وهو قولهما: «**عرف العالم الإسلامي ظهور مصطلح «التعليم الديني» إلى جانب «التعليم العام العصري» في بداية فترة الاستعمار، نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حين تم الفصل بين العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم البحتة، وبين علوم الشريعة واللغة العربية في مناهج كبريات الجامعات الإسلامية في القاهرة وفاس والقيروان، بعد أن كانت المناهج التعليمية في هذه الكليات مندمجة ومتعددة التخصصات، يدرس فيها إلى جانب علوم الشريعة واللغة العربية، علوم الطب والفلك والفيزياء والطبيعيات وغيرها، انطلاقاً من فلسفة النظرية التربوية الإسلامية القائمة على وحدة الهدف من باقي العلوم، وهو معرفة الخالق، وسياسة الكون بمنظور الاستخلاف**»[7]؛ بينما عرّفه أحد الدارسين انطلاقاً من فكرة نوعية المؤسسات الدينية والتعليمية التي تحتضن تلقين الطلاب والمريدين، حيث يقول في هذا التعريف ما يأتي: «هو التعليم الذي كانت تعقد حلقاته بالكتاتيب القرآنية، والمساجد، والزوايا، وله أهمية كبرى في الحفاظ على هوية الأمة، وأصالتها، وتراثها العلمي والحضاري منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم»[8].

ويمكن تحديد مفهوم الحلقة المسجدية بكونها النواة الأولى للتعليم في مساجد دار الإسلام، **والحلقة** في «**لسان العرب**»: «كل شيء استدار **كحلقة** الحديد والفضة والذهب، وكذلك هو في الناس، والجمع حلق على الغالب»[9]. وقد دُعِيَت بالحلقة الدراسية لشكلها شبه الدائري الناتج عن تحلق الطلاب والقراء والمستمعين حول الملقي للدرس، أو القارئ، أو المحدِّث. ويقتصر هذا التعريف على الحلقة المسجدية؛ لأن ظاهرة أو بادرة التحلق في المجتمعات الإسلامية لم تكن تقتصر على الدرس الديني، وإنما تتخطاه إلى التحلق حول القُصّاص، والمضحكين، والباعة، ومُرَوِّضي الحيوانات، بل وكل شخص يثير فضول الناس، ويستطيع ضمّهم إليه، والتحلُّق حوله.

7- د. الصمدي (خالد)، د. حللي (عبد الرحمن)، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، سلسلة: حوارات لقرن جديد، ط1، دار الفكر، دمشق، 1428هـ/2007م، ص 20

8- أشوخي، محمد بن محمد، «مفهوم التعليم العتيق»، مجلة التعليم العتيق، العدد الأول، ربيع الثاني 1436هـ - شباط/فبراير 2015م، ص 5

9- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003م، 199/4

ويصطلح على تسمية التعليم الديني في بعض البلدان الإسلامية خلال الحقبة المعاصرة، بمسميات مختلفة **كالتعليم الأصيل** أو **التعليم العتيق** في المغرب، أو **التعليم الأهلي** في دول الساحل والصحراء في إفريقيا، أو **المدارس العربية الإسلامية** في دول آسيا، أو **التعليم الشرعي** في بعض دول الخليج، ويمارس من الناحية التنظيمية في إطار تعليم نظامي رسمي تشرف عليه الدولة، وتعليم غير نظامي تسيره الجمعيات والمنظمات الأهلية، ويموله المحسنون[10].

ـ ظهور الحلقات المسجدية الأولى:

يروي الخزاعي أقدم الروايات التي تؤرخ لبداية ظهور الحلقات المسجدية الأولى في تاريخ الإسلام[11]، عند ذكره مَنْ بعَثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهات يعلّم الناس القرآن، ويتبين من روايته هذه أن هذه الحلقات ربما كانت أولاها قد اجتمعت لدى القوم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الأولى، إذ بعث معهم جماعة من الصحابة ليعلموهم القرآن[12]. ولعلَّ الحلقات الأولى كانت سابقة لهذه المناسبة، فمن المعروف أن الصحابة أنفسهم قد تلقوا القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم بالمدينة على طرق مختلفة، مثلما يؤكد ابن خلدون[13].

وفي عهود لاحقة، أحدث المسلمون طرقاً مبتدعة في قراءة القرآن، وقد نبّه الإمام مالك على ما في ذلك من البدعة المذمومة[14]. ومن أشهر التدابير التي اتخذها الخلفاء المسلمون للحد من تحصيل القرآن دون التفقه في معانيه وأحكامه، ما ورد في المدونات الفقهية المبكرة عن تفطّن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب للحد من استفحال هذه الظاهرة[15]. بيد أن تعليم القرآن في المساجد والجوامع، والدور الذي أداه القرّاء والطلبة

10- أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص 26

11- يذكر المؤرخ أبو الفرج الجوزي، أنّ «عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يعلّم أهلَ الصُّفَّةِ القرآنَ». الخزاعي، علي بن محمد بن سعود، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1419هـ/1999م، ص79-80؛ والصُّفَّة: ظُلَّةٌ في مؤخر مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يأوي إليها المساكين، وإليها ينسب أهل الصفة على أشهر الأقاويل.

12- كان من بين من «بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، وكان يسمى المقرئ في المدينة»، ومنهم معاذ بن جبل إذ «استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عَتَّاب بن أسِيد على مكة، وخَلَّف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين، ويعلمهم القرآن»، ومنهم كذلك عمرو بن حزم النجاري الذي استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على نجران «ليفقههم في الدين، ويعلمهم القرآن، ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد فأسلموا». المصدر نفسه، ص ص 81-82

13- بن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2004م، 933/3

14- في هذا الصدد يذكر الطرطوشي في «فصل ما لا ينبغي في قراءة القرآن»: «وسئل مالك عن قرّاء مصر الذين يجتمع الناس إليهم، وكل رجل منهم يقرئ بالعصبة يفتح عليهم؟ قال: إنه حسن لا بأس به». وقال مرة أخرى أنه كرهه وعابه، وقال: «إذا قرأ ذا ويقرأ ذا»؛ قال الله تعالى:، ومن الأمور المستحدثة، في باب التفقه في القرآن، يذكر الطرطوشي ما يلي: «ومما ابتدعه الناس في القرآن الاقتصار على حفظ حروفه؛ دون التفقه فيه». وأما أن يجتمع القوم، فيقرؤون في السورة مثلما يعمل أهل الإسكندرية، وهو الذي يسمى القراءة بالإدارة؛ فكرهه مالك، وقال: «هذا لم يكن من عمل الناس». الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، كتاب الحوادث والبدع، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، جدة ـ الرياض، ط3، 1419هـ/1998م، ص ص 95-96

15- ومما جاء في «العتبية» عن مالك قوله: «كُتِبَ إلى عمرَ بن الخطاب من العراق يُخبرونَهُ أن رجالاً قد جَمَعُوا كتاب الله تعالى، فكَتَبَ عُمَرُ: أن افرضْ لهُم في الدِّيوان. قال: فكُثُرَ مَن يطلبُ القرآن، فكُتِبَ إليهِ من قابل أنه قد جَمَعَ القرآنَ سبعمئة رَجُلٍ. فقال عمرُ: إنِّي لأخشى أن يُسرعوا في القرآن قبل أن يتفقهوا في الدين. فكَتَبَ ألّا يُعْطِيَهُم شيئاً». الحوادث والبدع، ص 97

في توريث حفظ الكتاب الكريم من جيل إلى جيل، ظل صفة ملازمة للتعليم الديني في دار الإسلام، على الرغم مما كان يشوب حلقاته بين الفينة والأخرى من مظاهر الفتنة، والزيغ عن المنهاج القويم المتعارف في مجالس القراءة القرآنية في الجوامع[16].

أما تعليم الكتابة والخط، فقد اشترك في هذه المهمة المعلمون من المسلمين والكفّار الأسارى[17]. ومن الجدير بالقول أن تعليم الكتابة والقرآن كان يتم بالمجان، ودون مقابل مادي أو هدايا وملاطفات[18]. أما «**المعلم الكافر**»، فقد كان يشترط على من لا مال له أن يفتدي نفسه مقابل تعليم عشرة من صبية المسلمين[19].

ويتبين من هذه الروايات أن تعليم القرآن والكتابة كان عملاً مجانياً بالنسبة للمعلم المسلم، في حين أنه كان نظيراً لافتداء الرقبة من الأسر والاسترقاق بالنسبة للمعلم الكافر. غير أن هذا الأمر حدث في البعثة النبوية، وزمن الفتوحات الإسلامية الأولى. ولا يمكن تعميم هذه الملاحظة على عموم التاريخ الإسلامي.

أما فيما يتعلق بمكان الإقراء والتعليم، فقد ذكر الحافظ ابن عبد البر في (**الاستيعاب**) أن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى القرشي العامري قدم المدينة بعد بدر بيسير، فنزل «**دار القُرّاء**»»[20]. ويترتب على هذه الرواية المنسوبة إلى المؤرخ الواقدي، أن المسلمين اتخذوا أماكن مخصّصة لقراءة القرآن وتعلمه منذ زمن البعثة المحمدية.

16- كما حُكِيَ عن قراءة القرآن بجامع القرويين، «أنّ بعض المجوّدين لقراءة القرآن فيه كان يقعد بين يديه الأحداث من الصبيان لتجويد القرآن، فيجتمع إليه الناس إلى أن حدثت فتن بسبب ذلك، فرفع ذلك للشيخ الفقيه الصالح المدرس عبد العزيز بن محمد القروي رحمه الله، فأشار إلى بعض من له حكم نافذ أن يشتدّ في تغيير ذلك، ويمنعه كل المنع، فمنعهم، وفرّق جمعهم»؛ الجزنائي، أبو الحسن علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1411هـ/1991م، ص 82

17- حيث يؤرخ الخزاعي لبداية تعليم الكتابة في البعثة النبوية، بقوله في باب «معلم الكتابة»: «المعلم المسلم...عبد الله بن سعيد بن العاص... أمره أن يعلم الكتاب بالمدينة، وكان محسناً». تخريج الدلالات السمعية، ص 84

18- سنن أبي داود، 237/2: خرّج رحمه الله تعالى عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: «علّمت ناساً من أهل الصفّة الكتاب والقرآن، فأهدى إليّ رجل منهم قوساً، فقلت: ليست بمال، وأرمي عليها في سبيل الله، فقلت: لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنه، فأتيته فقلت: يا رسول الله، رجل أهدى إلي قوساً ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن، وليست بمال، وأرمي عليها في سبيل الله؟ قال: إن كنت تحبُّ أن تطوّق طوقاً من نار فاقبلها».

19- روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأسير الكافر «يعلّم عشرة من المسلمين الكتابة»، قال ابن وهيب: إن أهل المدينة لم يكونوا يحسنون الخط. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن فرح المالكي، كتاب أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م، ص34. وجاء في «الروض الأنف» للسهيلي في الكلام على غزوة بدر قال: «وكان في الأسرى يوم بدر من يكتب، ولم يكن في الأنصار أحد يحسن الكتابة، فكان منهم من لا مال له، فيُقبَل منه أن يُعلّمَ عشرةً من الغلمان الكتابة، ويُخَلَّى سبيله، فيومئذ تعلّم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الأنصار». تخريج الدلالات السمعية، ص ص 84-85

20- تخريج الدلالات السمعية، ص 93

نحو مأسسة الحلقات المسجدية:

نقصد بالمأسسة: عملية وضع المبادئ المنظمة والقواعد الأولى[21]، وترسيخ التقاليد الثابتة لظاهرة معينة، فالمؤسسة نظام متماسك، يرجع في تنظيمه وإنتاجه إلى دستور مكتوب أو متعارف، يعمل به القائمون على أمر المؤسسة. وقد عرفت ديار الإسلام مؤسسة المسجد والحلقات المسجدية منذ ظهور الإسلام، وعمل المسلمون شيئاً فشيئاً على ترسيخ قواعد التعليم في ظلها، وتوجيه طلاب العلم وشيوخه تلقائياً إلى التزامها، والعمل بها.

ومع انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، واتساع آفاق دار الإسلام، توسعت معها ظاهرة الحلقات الدراسية في المساجد والجوامع، فأقيمت لهذه الغاية جوامع، ومساجد، وبيوت للعبادة في الأمصار والقرى، وعمّت حلقات الدرس والوعظ جميع الأقطار الإسلامية. وهو ما أدى تدريجياً إلى التأسيس والتقعيد لهذه الظاهرة، وتقنينها في إطار منظَّم ومستمر يخضع لرقابة أو وصاية السلطان والحكّام.

بيد أن أقطار دار الإسلام تفاوتت فيما بينها في تنظيم الحلقات الدراسية بها، فقد احتضنت بعض الحواضر الإسلامية الكبرى جوامع للدراسة، وأبرزها القرويين في فاس، والزيتونة في تونس، والأزهر الفاطمية، ويمكن الوقوف على تطور التعليم الديني في هذه الجوامع الثلاثة، التي انتشر صيتها، وطبقت شهرتها الآفاق في مشارق دار الإسلام ومغاربها.

1- جامع الزيتونة:

يعتقد المؤرخون أن جامع الزيتونة في تونس كان أقدم الجوامع الإسلامية على الإطلاق، حيث تتراوح تواريخ تأسيسه بين سنة (79هـ) على يد والي إفريقيا حسّان بن النعمان، وبين سنة (114هـ) على يد عبيد الله بن الحبحاب[22]. ومع أن تدريس العلوم الدينية تم في هذا الجامع منذ المئة الثالثة للهجرة، فإن ترسيخ دروسه وانتظامها لم يتحقق، بوجه تام، إلا في عهد الدولة الحفصية، وقد ألحق سلاطينها، خلال القرن الثامن للهجرة، مكتبة بالجامع، بلغ تعداد مصنفاتها ستة وثلاثين ألف مجلد[23].

21- معنى أسَّس في لسان العرب، 105/1: «الأسُّ والأسَس والأساس: كل مُبْتَدأ شيءٍ، والأسُّ والأساس: أصل البناء [...] وأسّ الإنسان: قلبه؛ لأنه أول مُتَكَوّن في الرحم، وهو من الأسماء المشتركة، وأسُّ البناء: مُبْتَدَؤُه».

22- بن الخوجة، محمد، تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، تحقيق الجيلالي بن الحاج يحيى وحمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1985م، ص 41-43

23- السراج، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب: 1040-1042هـ/1630-1633م، تحقيق محمد الفاسي، سلسلة الرحلات (5)، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس، 1388هـ/1968م، ص 83

غير أنّ الجامع قد شهد انتكاسة في القرن العاشر الهجري، مع الغزو الإسباني لتونس، كما اضمحلّ شأن العلوم عموماً في البلاد التونسية بسبب تعاقب الأوبئة والجوائح، خاصة وباء (1100هـ/1688م)[24]. ولم ينتعش حال الزيتونة إلا في عهد الحسينيين، حيث وضع الباشا علي باي الأول، سنة (1170هـ/1756م) نظاماً جديداً للدراسة في الجامع، تحت رقابة أربعة نظّار، كما خصص جراية مالية للنظّار والمدرسين في الجامع.

وتظل المرحلة الممتدة بين سنوات (1870 و1878م) من أخصب المراحل في تاريخ إصلاح نظام التعليم في الزيتونة، فقد صدر مرسوم (27 كانون الأول/ديسمبر 1870م)، والذي تلاه أمر ثان بتاريخ (26 كانون الأول/ديسمبر 1875م)، تضمّن ستة فصول لتنظيم الدراسة فيها، وقائمة الكتب المقررة، وحقوق الطلبة وواجباتهم، ومهام النظّار، والقيمين، والكتبيين، وصدر قرار تكميلي تضمن ضبط عدد الأساتذة، غير أنّ معظم هذه القرارت لم يطبق على أرض الواقع[25].

ولم تتوقف محاولات الإصلاح في هذه الجامعة، ففيما بين سنتي (1898 و1938م) تم تشكيل خمس لجان لإصلاح التعليم الزيتوني، ومن أبرز مقترحات اللجنة الأولى ضرورة تخصيص الجامع الأعظم للتعليم فقط، والنظر في المواد الواجب أن تشتمل عليها برامج كل مرتبة من مراتب العلم، والتأكيد على حتمية التعليم الديني في الجامع وخارجه، وإمكانية إخضاع الطلبة لامتحان كتابي، ومطالبة كل مدرس بتدريس علم واحد أو اثنين على الأكثر[26].

2- جامع القرويين:

تأسس سنة (245هـ)، من مال كثير طيب تحصّل لأم البنين فاطمة الفهرية من ميراث أبيها محمد بن عبد الله الفهري القروي، نزيل عدوة القرويين بفاس[27]. وقد عرف هذا الجامع عدداً من الزيادات على شكله المعماري. أما عن بداية التعليم بجامع القرويين[28]، فإن أقدم إشارة، في هذا الصدد، تذكر أن محمد بن جراح الأنصاري كان يعطي دروساً له في الجهة الغربية من الجامع المذكور سنة (515هـ/1121م)[29]. كما تذكر

24- حيث يقول عنه السراج: «إن العلم انقطع من تونس بذلك الفناء المتعاقب، وبموت العلماء ماتت كتب العلم؛ لأن الكتب لا تعيش طويلاً بين غير أهلها»؛ المصدر نفسه، ص ص 83-84

25- الغابري، عبد الباسط، المؤسسة الزيتونية والإصلاح، مقال منشور في الإنترنت، ص 13

26- المصدر نفسه، ص 14

27- الجزنائي، جنى زهرة الآس، ص ص 45-46

28- يبدو من المصادر التاريخية المتأخرة أنّ الحلقات الدراسية لم تنتظم بشكل رسمي ومستديم إلا في صدر الدولة المرينية؛ باستثناء حلقات قراءة القرآن التي انطلقت منذ وقت مبكر نسبياً، وتشير بعض الروايات في هذا الصدد إلى أن «قراءة الحزب من القرآن فيه بعد صلاة الصبح والمغرب، فإنه كان أمر به يوسف بن عبد المؤمن بن علي في سائر بلاده». ولعل هذا الأمر مجرد دعاية لدولتهم، مرده إلى الرغبة في إعلاء شأنها، وتمجيد أعمالها في مجال تشجيع العلم والمعرفة، وتعميم الخدمات التعليمية على عموم الناس. المصدر نفسه، ص76.

29- الأوسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ص 582-584

المصادر أن أحمد بن عبيدة الأنصاري القرطبي (ت 582هـ/1186م) درّس فيه علم الحديث، وأخذ عنه جماعة به[30]. ومن بين هؤلاء أيضاً ابن نموي الفاسي (ت 614هـ/1217م) الذي تصدر للإقراء في الجهة الشرقية من جامع القرويين[31]. وقد أحدث السلطان أبو عنان المريني سنة (750هـ)، خزانة كتب في شتى العلوم والمعارف، وقفها على طلبة العلم في الجامع[32].

ويقول عبد الهادي التازي: إن التدريس في الجامع لهذا العهد كان يشترط في المترشح له أن يتوافر على كفاءة عالية[33]. كما يرى الأستاذ عبد الله العمراني أن جامع القرويين كان مركزاً علمياً ذا أهمية عظمى، وكعبة يحج إليها الطلبة من جميع أنحاء المغرب الإسلامي لتلقي العلوم الإسلامية، وغيرها من العلوم الأخرى»[34].

وخلال عصر بني وطاس (1472-1554م)، يقدم الحسن الوزان وصفاً دقيقاً لتنظيم الدروس ومواقيتها في القرويين[35].

وفي القرن السادس عشر، أقام أكلينار البلجيكي في فاس سنة (1540م)، ووصف القرويين ودروسه فيها، وعادات الطلبة والمدرسين، وطريقة التدريس، وفنون العلم المدروسة فيه، فكانت: التفسير، والحديث، والأصول، والفقه، والنحو، والبيان، والمعاني، والبديع، والمنطق، والعروض، والحساب، والتنجيم، والكلام، والتصوف، واللغة، والتصريف، والتوحيد، والتاريخ، والجغرافيا، والطب، والقضاء، والأحكام، والأدب[36].

30- الأوسي، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول، تحقيق د. محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، 1965م، ص239-240. المالكي، إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1972م، 216/1

31- ابن القاضي، أحمد، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور، الرباط، 1973م، 550/2. التازي، عبد الهادي، جامع القرويين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972م، 1/ 113

32- يقول الجزنائي: «لما كان من شيم مولانا المتوكل أبي عنان رحمه الله حبُّ العلم وإيثاره، والتهمم به، والرغبة في انتشاره، والاعتناء بأهله ومتحمليه، والتودد لقرائه ومنتحليه، انتدب لأن صنع هذه الخزانة، وأوسع طلبة العلم بأن أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأديان، والأبدان، والأذهان، واللسان، وغير ذلك من العلوم على اختلافها، وشتى ضروبها وأجناسها، ووقفها ابتغاء الزلفى، ورجاء ثواب الله الأوفى، وعيّن لها قيّماً لضبطها، ومناولة ما فيها، وأجرى له على ذلك جراية، وأفاد مكرمة وعناية». المصدر نفسه، ص 76

33- وهو قوله: «وكانت العادة المتبعة أن لا ينتصب للتدريس بالقرويين إلا من انتهت إليه المهارة الكافية في العلم والسلوك، تلك الكفاية التي يذيع أمرها عن طريق التدريس في تلك العلوم»؛ التازي، عبد الهادي، جامع القرويين، 123/1

34- العمراني، عبد الله، فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمي، العدد: 11-12، 1967م، ص 159

35- حيث يقول: «وفي داخل الجامع على طول الجدران يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال، يدرس عليها العديد من العلماء الأساتذة، حيث يلقون على الشعب دروساً تتعلق بأمور دينه، وشريعته. تبتدئ هذه الدروس بعد الفجر بقليل، وتنتهي بعد ساعة من شروق الشمس. ولا تلقى الدروس صيفاً إلا من منتصف الليل إلى الساعة الواحدة والنصف صباحاً، ويتعلق التعليم حينئذ بالعلوم الأخلاقية والروحية المتصلة بالشريعة الإسلامية، ولا يتولى إلقاءها إلا بعض الناس الخصوصيين، أما الدروس الأخرى فلا تسند إلا إلى رجال متضلّعين (في) هذه المواد، يتقاضون عن دروسهم أجوراً عالية حسنة، وتقدّم لهم الكتب والإنارة»؛ ليون الإفريقي، الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، 224/1.

36- الكتاني، الشريف محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي، فاس عاصمة الأدارسة، ورسائل أخرى، وضع فهارسه واعتنى به حمزة بن علي الكتاني، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1423هـ/2002م، ص 68

3- جامع الأزهر:

يعد جامع الأزهر أحد أهم المساجد الإسلامية الكبرى في مصر والعالم الإسلامي، أقامه جوهر الصقلي، قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي؛ ليكون جامعاً ومدرسة لتخريج الدعاة الفاطميين، بغية التمكين لمذهب الشيعة الإسماعيلية، وهو المذهب الرسمي الذي قامت على أساسه دولة الفاطميين. وكان بناؤه في أعقاب فتح جوهر لمصر في (11 شعبان سنة 358هـ-تموز/يوليو 969م). حيث وضع أساس مدينة القاهرة في (17 شعبان سنة 358هـ) لتكون العاصمة، ومدينة الجند غربي جبل المقطم. ووضع أساس قصر الخليفة المعز لدين اللَّه، وحجر أساس الجامع الأزهر في (14 شعبان سنة 359هـ/970م).

وفكرة الدراسة في الأزهر ترتبت عن دوافع مذهبية، وغلب الحدث العارض شيئاً فشيئاً على صفته الأولى؛ حتى أسبغ عليه ثوبه الجامعي الخالد، ففي سنة (365هـ/975م)، وفي أواخر عهد المعز لدين الله، جلس قاضي القضاة، أبو الحسن علي بن النعمان في الجامع الأزهر، وقرأ مختصر أبيه في فقه الشيعة، وأثبت أسماء الحاضرين، فكانت أول حلقة للدرس في الجامع الأزهر.

ومع قيام الدولة الأيوبية في مصر، تحول الأزهر من المذهب الشيعي إلى المذهب السني، ونرى السلطان صلاح الدين الأيوبي اقتدى بما فعله الملك العادل نور الدين زنكي في الشام، من إقامة المدارس في دمشق وحلب، فأنشأ المدرسة الناصرية بجوار المسجد الجامع (جامع عمرو) لتدريس الفقه الشافعي، ثم أنشأ على مقربة منها مدرسة لتدريس الفقه المالكي، عرفت بالمدرسة القمحية، وهي التي تولى التدريس فيها -فيما بعد- المؤرخ العلامة ابن خلدون، ثم توالى إنشاء المدارس في مصر والقاهرة على أيدي السلاطين، والأمراء، والكبراء، وكثر عددها في القرنين السابع والثامن[37].

ويحتفظ نص رحلة مغربية، من القرن الحادي عشر للهجرة، بوصف للأحوال العامة التي أضحى عليها جامع الأزهر خلال العصر العثماني، من حيث حلقات العلم وصنوفه، والجراية على طلاب العلم، وحفظة القرآن به[38]. ويتبين من هذا الوصف أن الجامع كان يشهد عصراً ذهبياً من حيث التنظيم، والتحصيل العلمي.

37- مسعد، السيد، «الأزهر أثر وثقافة»، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 555، ذو القعدة 1432هـ، أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر، 2011م، ص 22

38- وهو قوله: «وأعظم من هذا المسجد جامع الأزهر، المشرق الأنوار، الشهير الذكر، في الحواضر والأمصار، لا مسجد يعدله في قطر، ولا نظير يماثله في مصر، لا يغلق له باب، ولا يسدل له حجاب، أوقاته معمورة، وبأنواع العلوم مغمورة، قراءة وتقريراً لتفسير وحديث، ونحو وبيان، وأصول فقه ودين، وتصوف، ينبع العلم من حيطانه، ويسلي الغريب عن أوطانه، لا تجد سارية من سواريه خالية من معلم مفيد، أو متعلم مستفيد، تجتنى من رياضه أزهار الكلام، ويسمع في أرجائه أصاريح الأقلام، وفيه خمسة رواقات للغرباء من حملة القرآن، ومن تعاطى العلم من أهل المشارق والمغارب، تجرى لهم الأقوات، في جميع الأوقات، من رغيف نظيف، وحسو جريش، وعدس نضيج، صباحاً ومساء، أساطين بلاطاته الداخلية من رخام منحوت سماوي في اللون، وسقفها من ساج أخضر، وفيه من المصابيح ما لا يحصى عدداً، وفيها أربعة مكاتب، في كل واحد منها أربعون صبياً، ولكل منها مؤدب، ولهم أوقاف جارية، لملبسهم وقوتهم، يتعلمون حروف القرآن العظيم». أنس الساري والسارب، ص 48

وكان الطالب يلتحق بالأزهر بعد أن يتعلم القراءة، والكتابة، ومبادئ الحساب، وحفظ القرآن، دون التزام بسن معينة؛ ليتردد على حلقات العلماء، ويختار ما يريد من العلماء القائمين على التدريس. ولم يكن ملزماً بالانتظام في الدراسة؛ فقد ينقطع عنها لفترة ثم يعاودها. ولم تكن هناك لوائح تنظيمية تنظم سير العمل، أو تحدد المناهج والفرق الدراسية وسنوات الدراسة. والطالب لو أصبح مؤهلاً للتدريس والجلوس موقع الشيوخ استأذنهم، وقعد للدرس، فإذا لم يجد فيه الطلاب ما يرغبون من علم، انفضوا عنه، وتركوا حلقته، أما إذا التفوا حوله، ولزموا درسه، ووثقوا فيه، فتلك شهادة بصلاحيته للتدريس؛ بعدها يجيزه شيخ الأزهر، فيحصل على شهادة الإجازة في التدريس. وظل هذا النظام متبعاً حتى عهد الخديوي إسماعيل؛ عندما أصدر أول قانون للأزهر سنة (1288هـ/1872م) لتنظيم حصول الطلاب على الشهادة العالمية، وحدد المواد التي يمتحن فيها الطالب بإحدى عشرة مادة دراسية، شملت الفقه، والأصول، والحديث، والتفسير، والتوحيد، والنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والمنطق. وتجري طريقة الامتحان بأن يقوم الطالب بالجلوس فوق أريكة المدرس، والممتحنون أعضاء اللجنة يتحلقون حوله في وضع الطلبة، فيلقي الطالب درسه، ويقوم الشيوخ بمناقشته في مختلف فروع العلم. وقد يستمر الامتحان لساعات طويلة، لا تقطعها اللجنة إلا لتناول طعام، أو لأداء الصلاة. حتى إذا اطمأنت من تمكّن، وتأهيل، وحفظ الطالب أجازته، وأعطته درجات لتحديد مستواه. فالدرجة الأولى تمنح للطالب الذي يجتاز جميع المواد أو معظمها، والدرجة الثانية للذي يقل مستواه العلمي عن صاحب الدرجة الأولى، ولا يسمح له إلا بتدريس الكتب المتوسطة، أما الدرجة الثالثة فحاملها لا يُسمح له إلا بتدريس الكتب الصغيرة للمبتدئين. ومن كان يرسب في الامتحان يمكنه إعادة الامتحان مرة أخرى، أو أكثر، دون التزام بعدد من المحاولات. ويحق لمن حصل على الدرجة الثانية أو الثالثة أن يتقدم مرة أخرى للحصول على الدرجة الأعلى.

وفي عهد الخديوي عباس حلمي الثاني صدر قانون سنة (1314هـ/1896م) لتطوير الأزهر. وقد حدد القانون سن قبول التلاميذ بخمسة عشر عاماً، مع ضرورة معرفة القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، وحدد المقررات التي تُدرس في الأزهر، مع إضافة طائفة جديدة من المواد تشتمل على الأخلاق، ومصطلح الحديث، والحساب، والجبر، والعروض، والقافية، والتاريخ الإسلامي، والإنشاء، ومتن اللغة، ومبادئ الهندسة، وتقويم البلدان.

وأنشأ هذا القانون شهادة تسمى «**الأهلية**» يتقدم إليها من قضى في الأزهر ثماني سنوات، ويحق لحاملها شغل وظائف الإمامة، والخطابة في المساجد، وشهادة أخرى تسمى «**العالمية**»، ويتقدم إليها من قضى في الأزهر اثني عشر عاماً على الأقل، ويكون من حق الحاصلين عليها التدريس في الأزهر.

وصدر المرسوم الملكي رقم (26) لسنة (1936م) بشأن إعادة تنظيم الأزهر، والهيئات التي يشتمل عليها للقيام على حفظ الشريعة الإسلامية، وأصولها، وفروعها، واللغة العربية، والعمل على نشرها، وتخريج علماء يوكل إليهم تعليم علوم الدين واللغة في المعاهد والمدارس. وحدد المرسوم اختصاص هيئة كبار العلماء، وقصر كليات الأزهر على ثلاث، هي: كلية الشريعة، وكلية أصول الدين، وكلية اللغة العربية. كما حدد دور المعاهد الأزهرية في تزويد الطلاب بثقافة عامة في الدين واللغة، وإعدادهم لدخول كليات الأزهر دون غيرها[39] لقد كان الأديب الألمعي عباس محمود العقاد بليغاً في وصفه للدور العلمي والروحي الذي أداه الأزهر الشريف كونه «**ملاذ القوة الروحية في نفوس أبناء الأمة، وفي نفوس الحاكمين الذين يدينون بعقيدتها**»[40].

التعليم الديني بين الحلقات المسجدية والفصول الدراسية:

مع بداية القرن الخامس الهجري، ظهرت المدارس في مشرق دار الإسلام، إلى جانب الحلقات الدراسية في المساجد والجوامع، وشهدت هذه المرحلة تعايشاً وتكاملاً بين المؤسستين، حيث لم تعمل إحداهما على طمس أو احتواء الدور الذي تؤديه المؤسسة الأخرى في الحقل التعليمي، بل على العكس من ذلك كانت المدارس نفسها، في كثير من الأحيان، تقع في جانب الجامع، وتشترك معه في هيئة التدريس بها، مثلما كان عليه الأمر في مدارس بغداد، ودمشق، والقاهرة، والقيروان، وفاس. وقد كان الوزير العباسي نظام الملك أحد أشهر المؤسسين لهذه المدارس في بغداد، حاضرة الخلافة العباسية. ويكشف الرَّحّالة الأندلسي ابن جبير كيف كانت ظاهرة المدارس في مشرق دار الإسلام مثار إعجاب لديه، بسبب ما تتيحه هذه المدارس لطلبة العلم من إمكان التحصيل، دون الالتفات إلى أسباب المعيشة من الكسب والكد، منوهاً بهذه الميزة التي اختصت بها هذه البلاد، ومشجعاً لطلبة الغرب الإسلامي على خوض الرحلة العلمية[41]. ويعدّد ابن جبير مدارس بغداد في القرن السادس الهجري، منوّهاً بمعمارها الرائع، وجراياتها الواسعة[42].

39- جامع الأزهر على الموقع الإلكتروني:

جامع_الأزهر/http://www.marefa.org/index.php

40- د. خفاجي، محمد عبد المنعم، الأزهر في ألف عام، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1408هـ-1988م، 5/1

41- وهو قوله: «وهذه البلاد المشرقية كلها على هذا الرسم، لكن الاحتفال بهذه البلدة أكثر، والاتساع أوجد. فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا، فليرحل إلى هذه البلاد، ويتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأوّلها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها، فإذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد، ولا عذر للمقصّر إلا من يدين بالعجز والتسويف، فذلك من لا يتوجه هذا الخطاب عليه، وإنما المخاطب كل ذي همة يحول طلب المعيشة بينه وبين مقصده في وطنه من الطلب العلمي، فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك، فادخل أيها المجتهد بسلام، وتغنّم الفراغ والانفراد قبل علق الأهل والولد، وقرع سن الندم على زمن التضييع، والله يوفّق ويرشد، لا إله سواه». البلنسي، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، رحلة ابن جبير، تحقيق د. حسين نصّار، مكتبة مصر، القاهرة، 1992م، ص ص 360-361

42- وذلك قوله: «والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها. وأعظمها شأناً وأشهرها النظامية، وهي التي ابتناها نظام الملك، وجددت سنة أربع وخمسمئة. ولهذه المدارس أوقاف عظيمة، وعقارات محبّسة، تتصيّر إلى الفقهاء المدرسين بها، ويجرون فيها على الطلبة ما يقوم بهم. ولهذه المدارس والمارستانات شرف عظيم، وفخر مخلّد، فرحم الله واضعها الأول، ورحم الله من تبع ذلك السنن الصالح». المصدر نفسه، ص ص 283-284

وإذا كان المشرق سباقاً إلى تأسيس المدارس والفصول الدراسية، فإن المغرب الأقصى كان، بدوره، مبادراً إلى إقامة هذه المؤسسات منذ النصف الأول من القرن السابع للهجرة، وكانت أولى المدارس قد شهدتها مدينة سبتة منذ سنة (635هـ) على يد العالم الفقيه الأديب أبي الحسن الشاري الغافقي (ت 649هـ)، والمدرسة الجديدة التي شيدها السلطان أبو الحسن المريني (731-752هـ)[43]. بل إن المصادر التاريخية تخبرنا أن شكلاً مبكراً من المدارس قد عرفه المغرب منذ أواخر القرن الخامس ومطلع القرن السادس للهجرة، ويتعلق الأمر بمدرسة وجاج بن زلو اللمطي بأكلو، التي تخرّج فيها عبد الله بن ياسين مؤسس الحركة المرابطية، وداعيتهم الأول[44].

ويستعرض ابن مرزوق التلمساني (ت 781هـ) جملة المدارس التي ابتناها السلطان أبو الحسن في المغرب والأندلس لتشجيع التحصيل الدراسي، وقبل الخوض في تقديم جرد لهذه المدارس، ينبغي التنبيه على أن الأسباب الداعية لسياسته التعليمية هذه، تكاد تتطابق مع الدوافع والظروف التي نشأت في ظلها المدارس في مشرق دار الإسلام منذ المئة الخامسة للهجرة[45]. ومما يحسب لهذا السلطان أنه دشن عصراً ذهبياً للمدارس العلمية في الغرب الإسلامي، اشتملت على أكبر حواضر المغربين الأقصى والأوسط[46].

وقد نوّه الحسن الوزان بمكانة المدارس في عصر بني مرين، من حيث انتظام الدراسة، وجزالة الجرايات على الأساتذة والطلبة[47]. ويبدو الوزان قد لاحظ الفرق بين ما كانت عليه المدارس المرينية من

43- السبتي، محمد بن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1403هـ/1983م، ص ص 27-28

44- بنيدير، جامع، «المدرسة العلمية الوكاكية بأكلو»، مجلة التعليم العتيق، العدد الأول، ربيع الثاني 1436هـ - شباط/فبراير 2015م، ص ص 8-7

45- حيث يقول ابن مرزوق مستحضراً هذه النية قائلاً: «ولا يحفظ العلم إلا بمعونة طلابه على طلبه، وبعثهم على تعليمه وتعلمه، فإن تعليمه وتعلمه يمنعان من التسبب، ويقطعان عن الطلب، فإذا حصلت المعونة، وكفيت المؤونة، ارتفعت المعذرة، وانقطعت الحجة، وللمعين على ذلك أجر المباشر، والتجر فيه من أربح المتاجر، فلا حاجة إلى الاستدلال على ذلك». التلمساني، محمد بن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الإمام أبي الحسن، تحقيق دة. ماريا خيسوس بيغيرا، ضبط وتقديم د. محمد مفتاح، دار الأمان، الرباط، ط1، 1433هـ/2012م، ص 331

46- في استعراضه لهذه المدارس المرينية يقول: «أنشأ مولانا المجاهد، الملك العابد، مدرسة الحلفاويين بمدينة فاس، وبعدوة القرويين منها. ثم أنشأ مولانا السلطان أبو سعيد، والد إمامنا رضي الله عنه، مدرسة العطارين، ومدرسة المدينة البيضاء بمشاركته رضي الله عنه. ثم أنشأ، نفعه الله تعالى، المدرسة المختلفة بالعدوة، عدوة الأندلس من فاس، وهي مدرسة الصهريج. ثم أنشأ المدرسة الكبرى، مدرسة الوادي، وهي التي يشق في وسطها الوادي الأعظم بالعدوة. ثم المدرسة الكائنة في جامع القرويين، وتعرف بمدرسة مصباح؛ لأنه ولي التدريس فيها، وهو الإمام المعروف بالكراس، فإنه كان يستظهر في النقل بكراس يسردها في دولته كل غداة، رحمه [الله] ونفع به. ثم أنشأ رضي الله عنه في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط مدرسة، فأنشأ بمدينة تازي قديماً مدرستها الحسنة، وببلد مكناسة وسلا وطنجة وسبتة وأنفى وأزمور وآسفي وأغمات ومراكش والقصر الكبير، وبالعُبّاد ظاهر تلمسان، وحذاء الجامع الذي قدمت ذكره، وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان... وكلها قد اشتمل على المباني العجيبة، والصنائع الغريبة، والمصانع العديدة، والاحتفال في البناء والنقش والجص والفرش على اختلاف أنواعه من الزليجي البديع، والرخام المجزع، والخشب المحكم النقش، والمياه النميرة. مع ما ينضم إلى ذلك من الأحباس التي تقام بها، ويحفظ بها الوضع، مما يصلح به، ويبنى، ويجرى في المرتبات على الطلبة والعونة والقيم والبواب والمؤذن والإمام والناظر والشهود والخدّام، ويوفر من ذلك. هذا يرشدك إلى قدر ما يحتاج إليه في كل مدرسة من هذه المدارس، هذا مع ما حبس في جلها من أعلاق الكتب النفيسة، والمصنفات المفيدة، فلا جرم كثر بسبب ذلك طلب العلم، وعدد أهله». المصدر نفسه، ص ص 331-332

47- حيث يقول: «في كل مدرسة أساتذة لمختلف العلوم، فهذا يلقي درسه في الصباح، وذاك في المساء، ويتقاضون مرتبات حسنة أوصى بها مؤسس المدرسة. وكان كل طالب من طلبة هذه المدرسة في الزمن الماضي معفى من مصاريفه ولباسه مدة سبع سنوات» وصف إفريقيا، 227/1

ازدهار، وما أضحت عليه حالتها، وأدوارها العلمية من تراجع واضمحلال خلال عصره، بسبب انخفاض عائدات أحباسها، وخراب الكثير من العقارات المغلة التي كانت تستفيد منها[48].

أما عن طرائق التدريس في هذه المدارس، فكانت تقريباً موحّدَة، ونمطية[49]. ويبدو أن الحفظ كان أساس الدراسة في الكتّاب، حيث يبدأ بحفظ القرآن من أسفل إلى أعلى، ثم حفظ بقية أمات الكتب والمختصرات في المراحل المتوسطة والعالية من التعليم، التي تنشط داخل المساجد[50].

ويرى بعض الدارسين، أمثال الباحثة الكندية **مايا شاتزميلر**[51]، أن المدارس المرينية أسست لغرض خلق نخبة إدارية مخزنية في خدمة الدولة المرينية، وامتصاص المعارضة التي مثلتها النخبة العالمة في جامع القرويين. وهذا الرأي يؤيده مصطفى نشاط[52]. أما محمد القبلي، فقد عدّ أن «**المدارس بالمغرب أضحت آنئذ مؤسسات رسمية تابعة كلها للدولة دون غيرها**»[53]. بيد أن هذا الرأي يواجه انتقادات من لدن العديد من الدارسين المتخصصين، فالحسين أسكان يفند هذا الرأي بشكل قطعي[54].

48- وهو قوله: «أما الآن فلم يبق له غير السكن، إذ خرب عدد كثير من الأملاك والبساتين التي كانت محصولاتها مخصصة لهذا الغرض، أثناء حروب سعيد. ولم يبق اليوم سوى دخل بسيط يمكن من الاحتفاظ بالأساتذة الذين يتقاضى بعضهم مئتي مثقال، وبعضهم مئة، وبعضهم أقل من ذلك. ولعل هذا أحد الأسباب التي أدت إلى انخفاض القيمة الفكرية، ليس في فاس وحدها، ولكن في جميع مدن إفريقيا». المصدر نفسه والصفحة نفسها.

49- تتجلى في وصف الوزان لها بما نصه: «عندما يريد أستاذ أن يلقي درسه، يبدأ أحد الطلبة بقراءة النص، ثم يشرحه الأستاذ، ويضيف إليه بعض تأويلاته الشخصية، منبّهاً إلى ما فيه من صعوبات. ويتناقش، الطلبة، أحياناً فيما بينهم أمام الأستاذ حسب موضوع الدرس»؛ المصدر نفسه والصفحة نفسها.

50- العلوي، محمد الفلاح، «بعض جوانب مكونات ثقافة علماء المغرب في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي»، مجلة أمل، العدد الثاني، السنة الأولى، 1992م، ص 45

51- Maya SHATZMILLER, «Les premiers Mérinides et le milieu religieux de Fès: l>introduction des Médersas», in Studia Islamica, vol. 43, 1976, p. 117.

52- وذلك قوله: «وعلاوة على باقي الأبعاد الدينية والتعليمية التي كانت ترومها السلطة المرينية من وراء دخولها في ذلك المشروع، فالظاهر أنها كانت تهدف، كذلك، إلى تكوين نخبة جديدة من الفقهاء، يأخذون على عاتقهم مسؤولية الدفاع عن مشروعية هذه السلطة التي لم تحظ بالتزكية من جانب بعض فقهاء القرويين. ويذهب البعض في هذا الصدد إلى الاعتقاد بأن المرينيين كانوا يهدفون من خلال بناء تلك المدارس إلى امتصاص المعارضة التي كانت تؤويها المساجد، وخاصة تلك التي كانت تؤوي عدداً مرتفعاً من الحاضرين، وذلك بتحويل الأنظار إلى المدارس الجديدة. ويمكن القول: إن المدارس شكلت إحدى الأدوات الهامة التي عولت عليها السلطة المرينية في بناء توازناتها الداخلية؛ بتخريجها لأطر مرتبطة مباشرة بالتوجه المريني»؛ نشاط، مصطفى، إطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة محمد الأول، وجدة، سلسلة بحوث ودراسات رقم 23، مطبعة شمس، وجدة، 2003م، ص 17

53- القبلي، محمد، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، 1987م، ص 75؛ Mohamed Kably, société pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age, Paris: Maisonneuve et Larose, 1986, p. 265؛ نشاط، مصطفى، إطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني، ص 18-20

54 - حيث يقول: «إن مثل هذا الاستنتاج لا تسمح المصادر بتأكيده بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال نماذج لطلاب المدارس؛ الذين أسندت لهم وظائف في جهاز الدولة الإداري. كما أنه من المعلوم أن إسناد الوظائف المخزنية يخضع إذا كان من «وظائف السيف» لاعتبارات سياسية، يحددها الانتماء للعصبية القبلية الحاكمة، أما «وظائف القلم» التي تتطلب كفاءة أدبية وعلمية، فإنها تسند للموالين للدولة من ذوي الكفاءات، بصرف النظر عن انتماءاتهم القبلية، بل حتى الدينية أحياناً، وتخضع في الغالب للزبونية والمحسوبية، فأسندت بعض الوظائف للأندلسيين وغيرهم، كما استعانوا أحياناً ببعض اليهود، كما أن طبيعة الدراسة بالمدارس لم تكن موجهة لهذا الغرض؛ نظراً للدور الثانوي للمقررات الأدبية، ولغياب التكوينات الإدارية بها»؛ أسكان، الحسين، «الدور التاريخي للمدرسة في التعليم بالمغرب الوسيط»، ضمن مجلة أمل «حول التعليم والمسألة التعليمية عبر تاريخ المغرب»، السنة العاشرة، 2003م، عدد مزدوج: 28-29، ص 29

على أن ظاهرة المدارس لم تكن عامة في دار الإسلام، فحالة الأندلس التي بلغت شأواً عظيماً في النهضة العلمية والأدبية، لم تعرف تأسيس مدارس إلا في فترة متأخرة جداً من تاريخها الإسلامي مع القرن الثامن، وقبل قرن ونصف تقريباً على سقوطها النهائي، وقد استوقفت المؤرخ المقري هذه الحالة الفريدة؛ التي تمثلها الأندلس في تاريخ الفكر الإسلامي والتعليم الديني عموماً في دار الإسلام، وعبر عن إعجابه بهذه التجربة الأندلسية[55]. ويؤيد حديث لسان الدين ابن الخطيب ما جاء عن تأخر إحداث المدارس في الأندلس إلى أواسط القرن الثامن الهجري، في ترجمة الحاجب رضوان النصري، عند ذكر آثار المترجم به[56].

لقد حَمَّل بعضُ القدامى المدارس المستحدثة مسؤولية انحطاط التعليم الديني في دار الإسلام، فالآبلي يصرح بموقفه منها بالقول: «**إنما أفسد العلم كثرة التأليف، وأذهبه بنيان المدارس**»؛ ويفصل المقري رأي شيخه فيقول: «**وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم... وأما البناء فلأنه يجذب الطلبة لما فيه من مرتّب الجرايات، فيقبل بهم على من يعينه أهل الرئاسة للإجراء والإقراء منهم، أو ممن يرضى لنفسه دخوله في حكمهم، ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة، الذين لا يدعون لذلك، وإن دعوا لم يجيبوا، وإن أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم**»[57].

تراجع دور التعليم الديني ومحاولات الإصلاح:

من المعلوم أن القرنين التاسع والعاشر للهجرة، قد حملا بذور الركود والضمور الحضاري في دار الإسلام شرقاً وغرباً، فقد شهدت مؤسسات التعليم الديني في دار الإسلام على غرار القرويين[58]، والأزهر الشريف، والجامعة الزيتونية جموداً فكرياً، وتكلساً ثقافياً، «**باستشراء التقليد، وغلق باب الاجتهاد، وهيمنة الشروح والحواشي**»[59]. **وكان للتوسع العثماني دور رئيس في هذا الانحسار.**

وكان من أبرز نتائج هذا الضمور، على المستوى البعيد، توقف مؤسسات التعليم الديني، متمثلة في الجامعات والمعاهد الإسلامية، عن إنتاج النخب الفكرية والسياسية، ما أفضى به إلى الانزواء في مرتبة

55- وهو قوله: «والعالم عندهم معظّم من الخاصة والعامة، يشار إليه، ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة، وما أشبه ذلك. ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرؤون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جارياً، فالعالم منهم بارع؛ لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفق من عنده حتى يعلم». التلمساني، أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م، 221-220/1

56- وهو قوله: «أحدث المدرسة بغرناطة، ولم تكن بها بعد، وسبب إليها الفوائد، ووقف عليها الرِّباع المغلّة، وانفرد بمنقبتها، فجاءت نسيجة وحدها بهجة، وصدراً، وظرفاً، وفخامة، وجلب الماء الكثير إليها من النهر، فأبّد سقيه عليها». اللوشي، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1393هـ/1973م، مج1، ص ص 508-509

57- نفح الطيب، مج5، ص ص 275-276

58- جلاب، حسن، إصلاح جامعة القرويين، ص 69

59- الغابري، عبد الباسط، المؤسسة الزيتونية والإصلاح، ص 5

ثانوية، أمام تصاعد مكانة التعليم العصري مع قدوم الاستعمار، والتغلغل الأوربي إلى العالم الإسلامي، ومحاولة صنع نخبة مثقفة وفق الطراز الأوربي؛ للتناغم مع خطابه الفكري والإيديولوجي، وتيسير أسباب ولوجه إلى البلاد الإسلامية، والتوافق مع مصالحه وأطروحاته الإمبريالية. بيد أن العديد من الحكومات العربية والإسلامية بادرت - انطلاقاً من توجهاتها، أو بضغط من الأوساط الفكرية والعلمية الغيورة على التعليم الأصيل - إلى طرح عدد من المشاريع والمبادرات لإصلاحه.

ونركز في هذا الإطار على تجربة الإصلاح في جامع القرويين، التي عرفت المسار ذاته من الاضمحلال والتقهقر في مستوى التعليم بها، وإن كانت لا تختلف تجربتها في هذا السياق عن تجارب باقي الجامعات الإسلامية كجامع الأزهر في مصر، وجامع الزيتونة في تونس.

لقد استعرض أحد الدارسين[60] أبرز عوامل انحطاط التعليم في جامعة القرويين في أواخر القرن التاسع عشر فيما يلي:

- **الجمود والتقليد**: وهي الصفة التي أصبح يتصف بها في العصور الأخيرة، ويرجع ذلك إلى انقطاع الاجتهاد، والتحول عنه إلى التقليد، أي: تقليد السابقين فيما اجتهدوا فيه، دون مراعاة خصوصيات العصر التي تختلف عما كان عليه الأمر سابقاً. واقتصر الفقهاء في نشاطهم على محاولة ترجيح هذا القول على ذاك، والاختيار بين هذا الرأي وذاك.

- **الاختصار والشرح**: وقد نتجت عن الاختصار أضرار متعددة، فمع تعدد المختصرات للكتاب الواحد، واختيار الألفاظ التي تفيد الاختصار، أدى الإغراق في ذلك إلى البعد عن المعنى الأصلي، حيث إن الجملة الواحدة أصبحت تحتمل العديد من المعاني، وبالتالي أنتجت هذه العملية مصطلحات شرعية فقهية، وأصبحت، بدورها، تحتاج إلى شروح، استنفذت جهود العلماء، ونتج عن ذلك، بدوره، وقوع المختصرات في أخطاء فقهية ألجأت الفقهاء إلى وضع حواشٍ وشروح لتفنيد تلك الأخطاء، وكان هذا مجال نشاط العلماء المغاربة على الخصوص.

وبعد تسعة قرون على تأسيس جامع القرويين بفاس، وانحطاط مستويات التلقين به إلى أدنى دركات الانحطاط، والجمود، ونقص الجودة، وضعف المردودية، ارتأى ملوك الدولة العلوية الأخذ بيد هذه الجامعة العريقة، ونفض الغبار عن مؤسساتها ومناهجها الدراسية، وانتخاب من يصلح من هيئة التدريس بها،

60- العلوي، محمد الفلاح، «بعض جوانب مكونات ثقافة علماء المغرب في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي»، مجلة أمل، العدد الثاني، السنة الأولى، 1992م، ص 51- 53

فكانت أول محاولة فعلية لهذا الإصلاح التعليمي من قبل السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790م)، متمثلة في الظهير الذي أصدره سنة (1203هـ/1789م)[61].

أما الإصلاح الثاني لجامع القرويين خلال عصر الدولة العلوية، فيتجلى في ظهير المولى عبد الرحمن بن هشام (1238-1276هـ/1822-1859م)، المؤرخ في (12) محرم (1261هـ/1845م)، وقد وجهه إلى ابن عمه الفقيه القاضي مولاي عبد الهادي[62].

ويقول الأستاذ حسن جلاب معلقاً على هذا الإصلاح بقوله: «وهكذا بعدما نظمت الدراسة الموضوعات والكتب مع سيدي محمد بن عبد الله، يسعى الظهير إلى إصلاح منهجية التلقين والتعليم، وفيما ذكرناه طرح للمشكل، وهو عقم المناهج التي كانت مبنية على التطويل، والدخول في التفاصيل، ما يفوت على الطلبة فرص الاستفادة والتعليم في زمن معقول»[63].

وبعد فرض عقد الحماية على المغرب، وانتقال عاصمته من فاس إلى الرباط سنة (1912م)، شهد التعليم في القرويين إصلاحاً جديداً نحا في اتجاه مأسسة الجامعة الفاسية، من حيث حصر لائحة دقيقة لهيئة التدريس، تأخذ بعين الاعتبار مؤهلات المدرِّسين، وانضباطهم المهني. وقد باشر هذا الإصلاح السلطان يوسف بن الحسن (1330-1346هـ/1912-1927م)، بسعيه إلى النظر في سد الخلل الذي تسرب إلى جامعة القرويين، بتدقيق في المراتب العلمية وتنقيحها، وإنزال كل من العلماء منزلته في المرتبة اللائقة به،

61- ابن زيدان، عبد الرحمن، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ/1937م، ص60-62، وقد جاء في الفصل الثالث منه -تبعاً لما يقول المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان- ما يلي: «[...] الفصل الثالث في المدرسين في مساجد فاس: فإننا أمرنا ألا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره. ومن كتب الحديث: المساند، والكتب المستخرجة منها، والبخاري ومسلم، وغيرها من الكتب الصحاح؛ ومن كتب الفقه: المدونة، والبيان، والتحصيل، ومقدمة ابن رشد، والجواهر لابن شاس، والنوادر، والرسالة لابن أبي زيد، وغير ذلك من كتب الأقدمين. ومن أراد تدريس مختصر خليل فإنما يدرسه بشرح بهرام الكبير، والمواق، والحطاب، والشيخ علي الأجهوري، والخرشي الكبير لا غير، فهذه الشروح الخمسة بها يدرس خليل مقصوراً، وفيها كفاية، وما عداها من الشروح كلها ينبذ، ولا يدرس به». ونصَّ على أنّ الذي يقرأ من كتب السيرة: الاكتفا للكلاعي، وسيرة ابن سيد الناس لليعمري؛ ومن كتب النحو: التسهيل والألفية وغيرهما من الكتب المفيدة؛ ومن كتب البيان: الإيضاح، والمطول، وكتب الصرف، وديوان الشعراء الستة، ومقامات الحريري، والقاموس، ولسان العرب، وأمثالها مما يعين على فهم كلام العرب؛ لأنها وسيلة إلى فهم كتاب الله، وحديث رسوله. وأمر بالاقتصار في قراءة علم الكلام على عقيدة ابن أبي زيد القيرواني التي افتتح بها رسالته. إلى أن قال في آخر المنشور: «وكذلك الفقهاء الذين يقرؤون الأسطرلاب، وعلم الحساب، فيأخذون حظهم من الأحباس لما في ذلك من المنفعة العظيمة، والفائدة الكبيرة لأوقات الصلاة والميراث، وعلى هذا يكون العمل إن شاء الله».

62- المصدر نفسه، ص ص 79-80؛ ومما جاء فيه: «... فقد بلغنا توافر طلبة العلم على العادة، وجدهم في الطلب، غير أنه قلّ التحصيل والإفادة... فإن الفقيه يبقى في سلكة سيدي خليل نحو العشر سنين، وفي الألفية العامين والثلاثة لكثرة ما يجلب من الأقوال الشاذة... وكثرة التشعيب بالاعتراضات وردها... ويخلط على المتعلم حتى لا يدري الصحيح من السقيم، ولا المنتج من العقيم، وفي ذلك تضييع الأعمار التي هي أنفس المتاجر بلا فائدة...».

63- جلاب، حسن، إصلاح جامعة القرويين بين الأمس واليوم، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1425هـ/2004م، ص 13. ودون الدخول في تفاصيل ما جاء في الظهير، نشير إلى البديل، أي: المنهج الذي يقدمه فيما يلي:

- ذكر منهج السلف في إفادة الطلبة رغبة فيما عند الله من الأجر الكبير: «فقد كانوا يسهلون لهم طرق العلم واستفادته، ويرتكبون ما يقرب تحصيل العلم وزيادته، وينزلون إلى عقول الطلبة على قدر أفهامهم. وطالب باتباعه، وذلك بالاقتصار في التقرير على كلام المؤلفين، وإفهامه للسامعين المتعلمين، مع التنبيه على ما فيه من خطأ وتحريف من غير إكثار هذر».

- في الفقه لا ينبغي مناقشة الألفاظ، ولا نقل كل ما سوَّده الحفاظ، بل ينبغي الاقتصار على بسط المسائل وفصولها، وتقريبها للفهم بتقرير أصولها.

- تحديد الزمن الأقصى لفهم بعض الكتب وتلقينها اعتباراً للمنهج المشار إليه: «فلا يجاوز الفقيه في سلكة خليل العام، وإن طال ففي عامين... ولا يجاوز في الألفية الشهر والشهرين... ويحصل الطلبة في ذلك على علوم جمة، ومسائل مهمة لا يحصلونها في هذا التماطل والتطويل». الدرر الفاخرة، ص 81

وسحب الدخلاء غير المستحقين، حسب تعبير ابن زيدان، من كل مرتبة، وفي هذا السياق بادرت جماعة من العلماء إلى رفع عريضة إلى السلطان تطالب بإنصافهم، واعتبارهم ضمن العلماء المرشحين في اللائحة التي كانت في طور الإعداد[64].

وعلّق ابن زيدان على هذه العريضة بقوله: «فأسعف السلطان المترجم، قدس الله روحه المطمئنة، رغبة هؤلاء الأعلام، ولبى طلبهم طبق ما ارتآه رأيه...».

كما شهد عهد مولاي يوسف بن الحسن، إنشاء المجلس التحسيني للقرويين بتاريخ (23 جمادى الثانية 1332هـ/19 - أيار/مايو 1914م)، للنظر فيما تتحسن به حالة التدريس والتعليم، ولترقية جرايات المدرسين ذوي المراتب. وقد أسندت رئاسته لمحمد الحجوي نائب الصدر الأعظم في المعارف، وتمّ انتخاب ستة أعضاء وثلاثة خلفاء. وتم تنصيب المجلس بحضور الخليفة السلطاني بفاس سيدي محمد المهدي، وأعيان المدينة[65].

ويعلّق الأستاذ جلاب على الإصلاحات اليوسفية للقرويين بقوله: «وهكذا فإن بصمات المولى يوسف على التعليم الديني بالمغرب لا تمحى، فهذه التحسينات أدخلته إلى مستوى التنظيمات الراقية بإنشاء المجلس التحسيني الذي يشبه اليوم مجلس الجامعة، والمجلس الأعلى للعلوم الدينية الذي يشبه اليوم المجلس الأعلى للتعليم، وخاصة إدخال عنصر الانتخابات في تكوين المجالس، وتحسين الوضعية المادية للشيوخ، وترتيبهم حسب كفاءاتهم، ومردودهم العلمي»[66].

أما الإصلاحات التي شهدتها جامعة القرويين غداة الاستقلال، فيمكن إجمالها في صدور ظهير (26 ذي الحجة عام 1348هـ الموافق 25 أيار/مايو 1930م)، الذي كان القصد منه نشر العلم وبثه، وإعانة تلك الطائفة المؤمنة على حمل الشريعة، وهو موجه إلى الفقيه أحمد بن الجيلالي رئيس المجلس العلمي

64- الدرر الفاخرة، ص127-128؛ ومما جاء فيها: «[...] فإن جماعة العلماء الذين ستوضع أسماؤهم عقب تاريخه يرفعون لجلالتكم ما طرق أسماعهم من الاقتصار في تقييد أسماء العلماء على اثني عشر، مع أن الذين قام بهم الآن وصف التدريس، أو تحصيل ملكته بالقرويين، عمره الله بدوام ذكره، يقرب عددهم من السبعين». وأكدت العريضة أن هذا العدد هو وسط، إذ عدد شيوخ القرويين بشكل عام يبلغ المئتين «... فالمرجو من جلالتكم النظر في هذه المهمة التي لها أكبر مساس بالدين وشريعة جدكم عليه السلام، بأن تعلموا بأن بقاءها على ما كانت عليه يفضي إلى انقراض العلم وأهله». وقد أرخت العريضة في ذي القعدة 1330هـ/1912م، ووقع عليها (31) شيخاً من شيوخ القرويين، على رأسهم محمد بن مبارك الودغيري، وأحمد بن محمد العلمي، ومحمد الطاهر بن الحسن الكتاني، وإدريس بن محمد العمراني المراكشي.

65- ونصَّ ظهيرُ 12 رمضان 1332هـ - 4 آب/أغسطس 1914م على دمج إدارة المعارف مع وزارة العدلية؛ رغبة في تحسين هيئتها، وعود كليات الديانة الإسلامية إلى نضارتها، وزهرتها. وفي الأمر المولوي العالي الصادر في 16 ربيع الثاني 1346هـ/1927م إلى رئيس المجلس التحسيني، نص على القرارات الآتية:

- ترقية رواتب العلماء ذوي المراتب بشرط المواظبة.

- إبقاء إدارة شؤون القرويين منوطة بمجلس تحسين التدريس.

- تأسيس مجلس أعلى للعلوم الدينية برئاسة جلالة السلطان، ومكون من الوزير الصدر الأعظم، ووزير العدلية، ووزير الأحباس، والحاجب الملكي.

- تعيين أمين من أعيان مدينة فاس يكلف بدفع رواتب العلماء، مع السهر على تعهد أحوال التدريس، وقيام كل عالم بوظيفته.

66- جلاب، حسن، إصلاح جامعة القرويين، ص ص 15-16

للقرويين، عين فيه جلالته السيد العربي الحريشي مراقباً للتدريس، على أن تبقى كيفية التدريس والنظام في الأوقات على ما كانت عليه إلى حين صدور ظهائر منظمة لاحقة[67].

كما صدرت لهذا العهد ظهائر أخرى مثل ظهير (12 ذي القعدة 1349هـ/1 نيسان/أبريل 1931م)، وينص على تأسيس المجلس الأعلى لنظام التعليم الإسلامي العام في القرويين، يتألف أعضاؤه من أعيان الدولة تحت رئاسة الصدر الأعظم، للنظر في تنظيم التعليم، وتحسين طرقه، والنظر في انتخاب العلماء المدرسين، أو تعيين الفنون التي تدرس، والتآليف التي تقرر، والأوقات التي تلقى فيها الدروس[68].

ويعدّ ظهير (10 ذي الحجة 1351هـ/31 آذار/مارس 1933م)، أهم الظهائر المنظمة للقرويين، لكونه تضمن (11) فصلاً موجهة لإعادة هيكلة الجامعة العتيقة[69].

أما ظهير (15 محرم 1352هـ - 10 أيار/مايو 1933م)، فقد نص على تأديب المدرسين والموظفين والطلبة النظاميين وغير النظاميين، وتنظيم مجالس التأديب، وتعيين أعضائه، واستئناف أحكامه[70].

ومن الجدير بالتنويه، أن المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان قد ضمّن رحلته الشهيرة إلى الحجاز ومصر والشام، معطيات دقيقة عن التعليم الديني في المغرب، فيما يتعلق بأهم الجوامع والمدارس المخصصة له، فضلاً عن معلومات تتصل بجرايات ومرتبات العلماء والمدرسين، وأوقات الدراسة، تعود تحديداً إلى سنة (1938م)، ومن ذلك قوله: «التعليم الديني محله الجوامع الكبيرة؛ وهي جامع القرويين في مدينة فاس،

67- المصدر نفسه، ص 17

68- المصدر نفسه، ص 18

69- المصدر نفسه، ص 18؛ وقد أجمل الحديث عن مضامين هذا الظهير بما يأتي:

- الفصل الأول: وهو ديباجة تنص على الدافع إلى تنظيم القرويين، وهو السعي للمحافظة على التعليم الديني الذي بوجوده يمكن القيام بشعائر الدين الحنيف.

- الفصل الثاني: أقسام التعليم وفنونها، وهي الابتدائي والثانوي والنهائي؛ الذي ينقسم بدوره إلى قسمين: شرعي وأدبي.

- الفصل الثالث: تحديد عدد المدرسين وتوزيعهم على أسلاك التدريس.

- الفصل الرابع: رواتب المدرسين حسب رتبهم، وأسلاك عملهم.

- الفصل الخامس: تنظيم وظيفة مراقب الدروس.

- الفصل السادس: أوقات الدراسة والعطلة.

- الفصل السابع: الامتحانات.

- الفصل الثامن: الشهادات والوظائف المخصصة لحامليها.

- الفصل التاسع: ترشيح المدرسين.

- الفصل العاشر: نواب المدرسين.

- الفصل الحادي عشر: ينص على أن الظهير غير نهائي، وسيكمل أو يغير حسب ما تدعو إليه الحاجة.

70- المصدر نفسه، ص ص 21-22

والجامع الكبير في مدينة مكناس، والجامع الكبير بمدينة الرباط، وجامع بن يوسف بمدينة مراكش، والعلوم الشرعية التي تدرس في هذه الجوامع هي الحديث، والأصول، والنحو، والصرف، والبيان، والتفسير، والمنطق، والتوحيد، ولا دخل فيها للعلوم العصرية، وبجانب كل مسجد عدد من الأمكنة تسمى مدارس لسكنى الطلبة الأغراب الذين يتعلمون في المساجد، وفي كل مكان من هذه الأمكنة محل للصلاة، ولهذه المدارس أوقاف محبوسة عليها، تصرف للطلبة الخبز في كل يوم، ولكل مدرسة قيم مكلف بها، وفي بعض هذه المدارس علماء لإعطاء الدروس للطلبة في بعض الأوقات، والجوامع التي مر ذكرها ليس لها نظام في الدخول ولا في التعليم، بل الحرية متروكة للطلبة في الحضور وعدم الحضور، فهي من هذه الناحية تشبه الجامع الأزهر في عهده القديم، ولكنّ هناك جامعاً واحداً هو جامع القرويين أدخل فيه النظام من أربع سنوات، فوضعت له قواعد لقبول الطلبة وللتعليم، والذي أدخل هذا النظام هو جلالة السلطان الحالي، فأتمّ بذلك ما ابتدأه المرحوم والده السلطان يوسف. وللسلطان الحالي عناية كبيرة بالتعليم والعلماء، وهو يشرف بنفسه على التعليم وبرامجه، ويحض العلماء على الجد والحزم كلما سنحت الفرصة لمقابلتهم.

وللتعليم الديني مجلس إدارة البلاط، وهذا المجلس مكون من الوزراء، ومن شيخ الجماعة، يشبه شيخ الأزهر في مصر، ومراقب التعليم، وهذا المجلس يضع تقارير عن سير التعليم، يرفعها إلى جلالة السلطان. وعدد الطلبة في جامع القرويين (1500)، وفي الجوامع الأخرى (500) إلى (600) في كل منها»[71].

كما شهدت مرتبات الأساتذة بالقرويين زيادة مهمة، يفصّل ابن زيدان في قيمتها بقوله: «والعلماء في جامع القرويين ثلاث طبقات؛ فعلماء الطبقة الأولى يتقاضى الواحد منهم (1500) فرنك في الشهر، والعالم في الطبقة الثانية يتقاضى (1250) فرنكاً، وفي الطبقة الثالثة يتقاضى (1000). وقبل إدخال النظام إلى هذا الجامع كان العالم يتقاضى (130) فرنكاً فقط، غير أنه في ذلك الوقت كانت المعيشة أرخص، وكان السلطان يتبرع للعلماء بحبوب، وكساوى، وذبائح»[72].

وخلال عهد الاستقلال، صدرت ظهائر تنظيمية جديدة[73]. كما شهدت سنة (2015م) إصدار ظهير ملكي رقم: (1.15.75) يقضي بإعادة تنظيم جامعة القرويين، وتحديد اختصاصاتها، وقائمة المؤسسات

71- بن زيدان، مولاي عبد الرحمن، الرحلة إلى الحجاز ومصر والشام، تحقيق د. سليمان القرشي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، كتاب دعوة الحق (24)، مطبعة الكرامة، الرباط، ط1، 1430هـ/2009م، ص ص 61- 62

72- المصدر نفسه، ص ص 62-63

73- جلاب، حسن، إصلاح جامعة القرويين، ص25؛ أبرزها: ظهير 12 رمضان 1382هـ الموافق 6 شباط/فبراير 1963م، الذي أعاد تنظيم القرويين تنظيماً جديداً، فأصبحت مكونة من كلية الشريعة، وكلية اللغة العربية بمراكش وريثة الكلية اليوسفية، وكلية أصول الدين بتطوان وريثة المعهد العالي. والتحقت بها كلية الشريعة بأكادير بمقتضى المرسوم الوزاري رقم: 2.79.88 الصادر في 23 رجب 1399هـ الموافق 19 حزيران/يونيو 1979م. وظهير شريف بمثابة قانون رقم: 102-75-1 بتاريخ 13 صفر 1395هـ الموافق 25 شباط/فبراير 1975 يتعلق بتنظيم الجامعات، من بينها جامعة القرويين بكلياتها.

الجامعية التابعة لها[74]. والملاحظ على هذا الظهير الأخير أنه استثنى كليات الشريعة وأصول الدين من قائمة المؤسسات التي تحتضنها جامعة القرويين، ومن المحتمل أن تلحق هذه الكليات المذكورة بكليات الآداب في الجامعة الواقعة داخل مجالها الترابي.

أما التعليم العتيق عموماً، فقد حظي بعناية بعض الدول العربية والإسلامية في الفترة المعاصرة، وصار يخضع للتسيير، أو الوصاية المباشرة من لدن السلطات الحكومية في هذه الدول، ففي المغرب، على سبيل المثال، قامت الوزارة الوصية باستصدار قانون رقم: (13.01) بتاريخ (2003/10/28م)، الذي يحدد في المادة: (25) مفهوم التعليم العتيق، والهدف منه، وينص على أطوار ومواد الدراسة فيه، مماثلة لأطوار ومواد الدراسة في التعليم العمومي، كما ينص على التزامات مؤسسات التعليم العتيق، والشروط المطلوبة في الأطر التربوية العاملة به، والمراقبة التي تخضع لها هذه المؤسسات، والجسور التي تربط التعليم العتيق بالتعليم العمومي[75].

خلاصة:

يمكن القول: إن التعليم الديني بات في حاجة ماسة إلى وقفة تأمل، وإلى تصور جريء بشأن مصيره ومستقبله. فقد أضحى التعليم الديني، بالنسبة للأقطار العربية والإسلامية، جزءاً من تركة الماضي التي يتم إبقاؤها على استحياء أحياناً، إما من منظور تراثي، وموروث ثقافي يجذب وجدان الأمة إلى ماضيها العريق، كما هو الحال في عدد من الدول العربية، أو من منظور إصلاحي يرمي إلى إدماج بنيات هذا التعليم ومؤسساته في إطار التعليم العمومي العصري.

وفي الوقت ذاته، ما زال هذا التعليم يطرح نفسه للنقاش والتأمل لدى العالم الغربي الليبرالي، بل لعله بات من القضايا المطروحة بجدية أكبر خلال العقود الأخيرة، بسبب وعي الدوائر الفكرية والتعليمية الغربية

74- الجريدة الرسمية، العدد: 6372، 8 رمضان 1436هـ الموافق 25 حزيران/يونيو 2015م؛ وينص الظهير على إعادة تنظيم جامعة القرويين، وتحديد مهام وقائمة المؤسسات التابعة لها، وكيفيات سيرها، ونظام الدراسة والتكوين بها. وأكد الظهير أن جامعة القرويين توضع تحت الرعاية السامية للملك، وتخضع لوصاية الدولة التي يمارسها وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وهو ما يعني خروجها من قائمة الجامعات العادية التابعة لوزارة التعليم العالي. ويدير الجامعة حسب النظام الجديد مجلس يترأسه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، ويتكون من رئيس، والأمين العام للمجلس العلمي الأعلى، ومدير التعليم العتيق بوزارة الأوقاف، ومدير جامع القرويين للتعليم النهائي العتيق، ومدير المدرسة القرآنية التابعة لمسجد الحسن الثاني، إضافة إلى أربعة علماء مغاربة، وممثلين عن الأساتذة والطلبة. وبناء على النظام الجديد، سيدخل تحت جامعة القرويين عدد من المؤسسات والمعاهد، من أهمها: دار الحديث الحسنية، ومعهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، ومعهد محمد السادس لتكوين الأئمة والمرشدين، والمعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ومعهد الفكر والحضارة الإسلامية في الدار البيضاء، إضافة إلى جامع القرويين للتعليم النهائي العتيق في فاس.

75- مفهوم التعليم العتيق، ص 5

بخطورة إسقاط التعليم الديني من حسابات التربية والتعليم، والاقتصار على العلوم العقلية، والإنسانيات الحديثة مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[76].

لقد بات الشأن الديني هاجساً يؤرق بال الزعامات السياسية الكبرى في العالم، لما أفرزت العقود التي تلت الحرب الباردة، وظهور نظام القطبية الأحادية في العالم، من هزات عنيفة في العالم بأسره، كانت المرجعيات الدينية أحياناً وراء الكثير منها، (نذكر على سبيل المثال لا الحصر: حركة طلبة المدارس القرآنية الأفغانية، والهجرة والتكفير، والإخوان المسلمين في مصر، ومجاهدي خلق في العراق، وحركة شباب المجاهدين في الصومال، وتنظيم الدولة الإسلامية في بلاد الشام والعراق..) ما حدا بمراكز القرار العالمي إلى إعادة النظر في موقفه المتساهل تجاه تدريس العلوم الدينية في المدارس والجامعات، وبات تدبير الشأن الديني من صميم الاهتمامات التي توليها العديد من الحكومات في سياساتها التعليمية والاجتماعية، وليس أدل على هذا التوجه السياسي، واستراتيجية الاستباق، من إعادة هيكلة جامعة القرويين بالمغرب مؤخراً، حيث شهدت عملية تقطيع لأوصالها، وإلحاق جميع كليات الشريعة وأصول الدين فيها في الجامعات العصرية[77].

76- أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، ص ص 14-15. نشرت المجلة الأمريكية المرموقة «فورين أفيرز» تحليلاً مطولاً، عن الدور الذي يمكن أن تلعبه المدارس الإسلامية الكبرى، كجامعة القرويين والقيروان، بالإضافة إلى الأزهر، في محاربة التطرف الديني، خاصة ذلك الذي تبثه التنظيمات الإرهابية، كتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، والذي أضحى له فروع في شمال إفريقيا. التحليل الذي قام به كل من الباحثين، (H. A. Hellyer) و(Nathan J. Brown)، أكد أن رجال الدين أو الفقهاء عند المسلمين، لم يغيبوا في أي حقبة منذ ظهور الإسلام قبل أربعة عشر قرناً، وهذا ما يفرض على هؤلاء الفقهاء تقديم قراءة جديدة لهذا الدين، تأخذ بعين الاعتبار روحه، وتجمع بين مختلف الاتجاهات الإسلامية، وتضم كلاً من نقط التوافق التي تجمع بينها، بالإضافة إلى أنها تضع حدوداً للمحرمات التي تعترف بها هذه المذاهب. وعدّ كاتبا مقال «فورين أفيرز» أن المذاهب السنية المعتدلة، والتي تشكل ما يشبه «الفاتيكان الإسلامي»، هي التي تستطيع مكافحة الإيديولوجيا التي يقوم تنظيم الدولة بنشرها، واعتبار هذه الإيديولوجيا موضع تهديد حقيقي، للإسلام عبر العالم. هذا الدور الرئيس حسب المجلة، الصادرة عن إحدى مراكز التفكير (think tank) الأمريكية، لا يمكن أن تقوم به سوى مؤسسات إسلامية كبرى، كجامعة القرويين في فاس، والقيروان في تونس، وكذا الأزهر المصري، لتعيد المهمات التي كانت منوطة بها في السابق، في تطوير الفكر الإسلامي. هذه المؤسسات الثلاث، حسب ذات المصدر، تستطيع إعادة إنتاج الفكر السني المعتدل، ومحاربة الأفكار الظلامية، وذلك لأنها تحظى باحترام طيف واسع من المسلمين عبر العالم، ولم تكن في أي وقت غائبة عن تفكيرهم، وممارستهم للشعائر الدينية، بالإضافة إلى أنها تتمتع بالشرعية التاريخية منذ نشأتها.

77- انظر الظهير الملكي رقم: 1.15.75 الصادر في الجريدة الرسمية بتاريخ: (7 رمضان 1436هـ - 24 حزيران/يونيو 2015م) القاضي بإعادة تنظيم جامعة القرويين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: كتب الحديث الصحاح:

1- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، السنن، حققه شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، ومحمد كامل قرة بللي، وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1430هـ/2009م.

2- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، السنن، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ/1997م.

3- البخاري، الإمام أبو عبد لله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

4- مسلم، الإمام أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، الدار الذهبية، القاهرة، (د.ت).

ثانياً: المصادر العربية:

5- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي البلنسي، رحلة ابن جبير، تحقيق د. حسين نصّار، مكتبة مصر، القاهرة، 1992م.

6- ابن حبيب، أبو مروان عبد الملك القرطبي، طبقات الفقهاء من لدن الصحابة ومن بعدهم من العلماء، تحقيق رضوان بن صالح الحصري، منشورات الرابطة المحمدية للعلماء، مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث والسيرة العطرة، رقم 3، الرباط، دار أبي رقراق، 1433هـ/2012م.

7- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني اللوشي، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1393هـ/1973م، مج1.

8- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، 2004م، 3ج.

9- ابن زيدان، عبد الرحمن:

- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ/1937م.

- الرحلة إلى الحجاز ومصر والشام، تحقيق د. سليمان القرشي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، كتاب دعوة الحق (24)، مطبعة الكرامة، الرباط، ط1، 1430هـ/2009م.

10- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق د. إحسان عباس، السفر الأول، القسم الأول، تحقيق د. محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، 1965م.

11- ابن فرح، أبو عبد الله محمد المالكي القرطبي، كتاب أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق فارس بن فتحي بن إبراهيم، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م.

12- ابن فرحون، إبراهيم بن علي اليعمري المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطباعة، القاهرة، 1972م، جزآن.

13- ابن القاضي، أحمد، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1973م، جزآن.

14- ابن مرزوق، محمد التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الإمام أبي الحسن**، تحقيق دة. ماريا خيسوس بيغيرا، ضبط وتقديم د. محمد مفتاح، دار الأمان، الرباط، ط1، 1433هـ/2012م.

15- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003م.

16- الأنصاري، محمد بن القاسم السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1403هـ/1983م.

17- الجزنائي، أبو الحسن علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1411هـ/1991م.

18- الخزاعي، علي بن محمد بن سعود، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1419هـ/1999م.

19- السرّاج، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب: 1040-1042هـ/1630-1633م، تحقيق محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، سلسلة الرحلات (5)، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس، 1388هـ/1968م.

20- الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد، كتاب الحوادث والبدع، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، جدة - الرياض، ط3، 1419هـ/1998م.

21- الغنية: فهرست شيوخ القاضي عياض، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي، تحقيق ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م.

22- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م، ج1.

23- الوزان، الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة د. محمد حجي، ود. محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م، ج1.

ثالثاً: المراجع العربية:

24- ابن الخوجة، محمد، تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، تحقيق الجيلالي بن الحاج يحيى، وحمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1985م.

25- أحمد طه، د. جمال، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م) دراسة سياسية، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001م.

26- أسكان، الحسين، «الدور التاريخي للمدرسة في التعليم بالمغرب الوسيط»، ضمن مجلة أمل «حول التعليم والمسألة التعليمية عبر تاريخ المغرب»، السنة العاشرة، 2003م، عدد مزدوج: 28-29.

27- أشوخي، محمد بن محمد، «مفهوم التعليم العتيق»، مجلة التعليم العتيق، العدد الأول، ربيع الثاني 1436هـ - شباط/فبراير 2015م.

28- بنيدير، جامع، «المدرسة العلمية الوكاكية بأكلو»، مجلة التعليم العتيق، العدد الأول، ربيع الثاني 1436هـ - شباط/فبراير 2015م.

29- التازي، د. عبد الهادي، جامع القرويين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972م، المجلد الأول.

30- الجريدة الرسمية، العدد: 6372، 8 رمضان 1436هـ الموافق 25 حزيران/يونيو 2015م.

31- جلاب، د. حسن، إصلاح جامعة القرويين بين الأمس واليوم، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 1425هـ/2004م.

32- خفاجي، د. محمد عبد المنعم، الأزهر في ألف عام، عالم الكتب، بيروت - مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: 1408هـ/1988م، جزآن.

33- الصمدي، د. خالد، حللي، د. عبد الرحمن، أزمة التعليم الديني في العالم الإسلامي، سلسلة: حوارات لقرن جديد، دار الفكر، دمشق، ط1، 1428هـ/2007م.

34- العلوي، محمد الفلاح، «بعض جوانب مكونات ثقافة علماء المغرب في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي»، مجلة أمل، العدد الثاني، السنة الأولى، 1992م.

35- القبلي، د. محمد، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1987م.

36- الكتاني، الشريف محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي، فاس عاصمة الأدارسة ورسائل أخرى، وضع فهارسه واعتنى به حمزة بن علي الكتاني، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1423هـ/2002م.

37- مسعد، السيد، «الأزهر أثر وثقافة»، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: 555، ذو القعدة 1432هـ - أيلول/تشرين الأول، سبتمبر/أكتوبر 2011م.

38- نشاط، مصطفى، إطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، سلسلة بحوث ودراسات رقم 23، مطبعة شمس، وجدة، ط1، 2003م.

رابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

39- Kably, Mohamed, société pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age, Paris: Maisonneuve et Larose, 1986.

40- SHATZMILLER, Maya, ``Les premiers Mérinides et le milieu religieux de Fès: l'introduction des Médersas'', in Studia Islamica, vol. 43, 1976.

خامساً: المراجع الرقمية:

41- عبد الباسط الغابري، «المؤسسة الزيتونية والإصلاح»، مقال منشور في الإنترنت على الرابط الآتي: **http:// mominoun.com/articles/2770**

42- عبد العزيز الدولاتلي، «جامع الزيتونة بمدينة تونس: عشرة قرون من الفن المعماري التونسي»، دراسة صادرة ضمن أعمال ندوة: «عمارة المساجد»، مج. 2أ، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (1419هـ/1999م) منشورة في موقع جامعة الملك سعود:

https: //cap.ksu.edu.sa/sites/cap.ksu.edu.sa/files/attach/sma_vol_2 _ar_01.pdf

43- مقال «جامع الأزهر» على الموقع الإلكتروني الآتي:

http://www.marefa.org/index.php/جامع_الأزهر

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : +212 537 77 99 54

الفاكس : +212 537 77 88 27

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017

All rights reserved © 2017